ينبغي أن تهدف دائماً إلى حماية حياة الإنسان، وأنّ أيّ فكر وتصرّف يسعى إلى تدمير الإنسان ينبغي أن يواجه بكلّ أنواع القوّة. لا يبقى "أنبياء" عندها سوى أولئك الذين شهدوا وعاشوا ما شهدوا، ودفعهم إيمانهم بالحق الذي تحمله تلك الرسالة، كي يبلّغوا عنها دون تسلّط، دون طلب للسيطرة، مع احترام لحريّة الآخر وفكره، لكي يكون الإيمان بالرسالة شخصيّاً وعيشها ملموساً على أرض الواقع. هؤلاء هم الأنبياء في كلّ جيل وكلّ مكان، هؤلاء هم الذين تتجسّد فيهم الرسالة بحيث أنّها تغدو حيّة بهم، فيكون لحضورهم الأثر البليغ والمشعّ.

هدف النبيّ أن يحيا هو وغيره الرسالة، هدفه أن يتّصل الإنسان في النهاية بالحق (الله، المبدأ..) ويلتزم به حماية لحياة الإنسان وحريته وكرامته. أمّا هدف الكاهن الذي ينقطع عن النبوّة فهو إدارة حياة غيره، أن يصبح الآخر معتمداً عليه وغيرَ قادر على الاستقلاليّة. النبيّ يهدف إلى أن يكشف الواقع وأن يدلّ على الخيارات المتاحة، وأن يعيش هو وغيره الرسالة، بينما الكاهن المنقطع عن النبوّة يقف عند أفكار الرسالة، ويضع نفسه خياراً وحيداً،

بعض الكهنة هم في التعبير الديني كهنة البعل، أي كهنة الأصنام

ويريد أن يدير يكون مركز تفسير وإدارة لأفكار الرسالة ولأفكار وتصرّفات الآخرين. النبوّة تهدف إلى تربية الإنسان المستقلّ الحرّ والكهنوت المنفصل عن النبوّة يهدف إلى بناء الأتباع. النبوة أُحيي والكهنوت المفصل عن النبوة يقتل. لهذا فالـ"نبوّة" و"الكهنوت" (المنفصل عن النبوّة) في صراع. بالطبع يمكن لـ"كاهن" أن يكون "نبيّاً" إن عاش وسعى أن يعيش غيره حرّاً وشخصيّاً الرسالة، كما يمكن لكلّ "نبيّ" أن يكون "كاهنا" بمعنى أن يلجأ بالضرورة إلى شرح الرسالة. لكنّ القضية ليست في الشرح، القضيّة هي في الهدف والأسلوب. كم من "نبيّ" وكم من "كاهن" في الأديان وفي الفلسفات وفي الأحزاب وفي العائلات وفي الجامعات وفي المدارس. وكم تحارب روح النبوّة بينما يقدّم كلّ التبجيل اللفظيّ للرسالة. أن يقتل الإنسان روح النبوّة في مجموعةٍ ما، هو أن يستعبدها.

العصيان.

ولأجل ذلك كلّه فإنّ العصيان فضيلة في كثير من الأحيان فـ"كلّ الذين دفعوا بالبشرية إلى الأمام في كلّ الميادين، هؤلاء اضطروا للتمرّد" كما يشير بندلي. عصيان "كهنة البعل" ضرورة حياة. وان كان العصيان للعصيان هو فعل عبثيّ مدمّر لأنه بلا هدف سوى العصيان، فإنّ الحريّة الحقّة تكون في الاختيار الشخصيّ. في الحريّة يترافق العصيان لكهنة البعل مع الإصغاء لنداء النبوّة الداخليّ، ونداء النبوّة الخارجيّ الذي نسمعه حين يشهد إنسان آخر للحق في ظرف معيّن، في إعمال للعقل والقلب معاً. هكذا عصيان وهكذاً إصغاء هما الوجهان الحقيقيان للحرّية. الحرّية تقوم على معرفة الواقع والخيارات المتاحة والقيام بخيار شخصيّ للسير في خطّ معيّن، يراه الإنسان مع غيره على أنّه حقّ، وما من حقّ خارج حماية حياة الإنسان والطبيعة. أيّ أنّ العصيان بالمعنى الذي نورده ليس هو عمل تدميريّ للذات والآخر وإنّما عمل تأكيد للذات، للشخص الإنسانيّ المتّصل بغيره بحرّية، والمتحرّك نحو أهدافه الذاتيّة والجماعيّة بحرّية.

من هنا فإنّ التعليم حول الطاعة المطلقة للسلطات الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة هو تعليم هدّام للإنسان لأنّه يجعله فرداً تابعاً لآخر، عاملاً بحسب ما يرسمه "الكاهن" الديني أو الفلسفي أو السياسي أو العسكري له، أي أنّه يجعله وسيلة في يد "الكاهن"، فتغدو سلطة "الكاهن" مطلقة مهما كان خطابه هادئاً أو مثيراً للحميّة، مهما كانت طريقة لباسه، مهما مدى علمه، ومهما يكن من أيّ أمر ظاهر فيه. هذه السلطة المطلقة لبشر استعبدوا ذواتهم لكاهن يولّد حتماً الدمار الذاتي للتابعين، على الصعيدين النفسي والوجوديّ، وقد يولّد الدمار على الصعيد المادّي أيضاً إذا ما قرّر الكاهن أن يخوض حرباً ما داخليّة أم خارجيّة، أكانت حرباً معنويّة في مؤسّسة أم حرباً ماديّة في بلاد بكاملها. والكاهن الذي يمتلك سلطة سياسيّة مطلقة يغدو ديكتاتوراً مدمّراً، أمّا الكاهن في السلطة الديموقراطيّة فيستعمل اللغة حول الحرّية والديموقراطيّة (الرسالة) لجرّ المواطنين إلى حروب لا تنتهي من أجل مصالح طبقة من المستفيدين بينما هو يقنع المواطنين أنّه يسعى لخدمة مصالح المجموعة والهدف الأسمى، الرسالة (الحرّية، الديموقراطيّة، حقوق الإنسان، الله، الإسلام، المسيحيّة، الأرثوذكسيّة، السنة، الشيعة، الرأسماليّة، الشيوعيّة، طريقتنا في الحياة، إلخ).

لكي تستوي التربية في أيّ مجتمع لا بدّ من أن تحتوي على تربية على فنّ الإصغاء، الإصغاء للذات وللآخرين، وتربية على فنّ العصيان، عصيان الهيمنة على العقول او القلوب "فلا يُضحى بالحقيقة التماساً للوحدة. ولا يُضحى بالوحدة بالرعونة والكبرياء" كما يقول المطران خضر، عندها يمكن للتربية ان تكون إنسانيّة، اي ان تتمكن من ان تلد البشر أشخاصاً يَحيَون وجودهم بشكل حقيقيّ، لأنها تكون قد ربّتهم على الحرّية. اللقاء القائم على الإصغاء لما يبدو لنا من حقيقة فينا وفي الآخرين والتزام تلك الحقيقة بشكل شخصيّ، مع القدرة على عصيان أيّة محاولة للخضوع لغير الحقيقة أكان ذلك شخصاً أم مؤسّسة، هو من يجعلنا في علاقة وحدة مع الآخرين يُحتَرَم فيها التمايز، في حرّية، ومن كان حرّاً استطاع أن يحبّ حقّاً، أمّا من لم يكن فإنّه محكوم بالخضوع الذليل للآخرين أو بإخضاع مُذِلّ للآخرين، او بالاثنين معاً.

في الرؤية التي شرحناها، العصيان فضيلة. إنّ الأنبياء الدينيين والفلسفيّين، نعموا بفضيلة العصيان لأنّهم نعموا بفضيلة الإيمان بإلهٍ أو بفكرةٍ، بفضيلة الإصغاء لإله أو التأمّل بفكرة، وبفضيلة الالتزام الشخصيّ لرسالة، ولم يطلبوا سلطة ولم يجبروا أحداً على اتّباعهم. إنّ من آمنوا بما اختبره الأنبياء، وساروا في الطريق التي أرشدهم هؤلاء إليها، هم الذين وقعوا في فخّ "الكهنوت" المنفصل عن النبوّة، في فخ الرغبة بالسيطرة، فوعظوا الناس بالطاعة لهم (ولو تفوّهوا بضرورة طاعة الله أو الفيلسوف المؤسِّس) ورفضوا أيّ عصيان لهم وللرسالة كما هم فسّروها، وقتلوا ودمّروا في سبيل الفكرة بعد أن جعلوها صنماً للعبادة لا طريقة حياة، وبعد أن جعلوا أنفسهم إلى جانبها أصناماً للعبادة الشخصيّة.

* * تستلهم هذه المقالة فكر المطران جورج خضر وخاصة مقالته "الكاهن والنبي" في 9 تموز 2010، واللاهوتي كوستي بندلي وخاصة مقالته حول "الطاعة والفداء" عام 1989، والمحلّل النفسي الماركسي أريك فروم وخاصة مقالته "أنبياء وكهنة"، وملاحظاتي حول النمط التربويّ الخطير الذي يبدو أنّه يجتاح المؤسّسات الدينيّة (المسيحيّة المشرقيّة خاصّة) في بلادنا والمتمثّل بالتربية على الخضوع.

* أستاذ جامعي

كيف يمكن مواجهة الإيديولوجية «الجهادية»؟

حميد زناز *

إن كان فرض استثناءات قانونية أمراً مفهوماً بقصد ترتيب الأمور وتجرع المفاجأة والصدمة بعد اعتداءات بربرية مثلاً، فينبغي أن يكون ذلك مؤقتاً، إذ لا دواء للإرهاب سوى دولة القانون التي تحمي الحريات لأن الإرهاب "الجهادي" ليس بالظاهرة العابرة ولذلك تتطلب مواجهته تغييراً أساسياً عميقاً يأخذ بعين الاعتبار إيجاد توازن معقول بين الحريات الفردية والأمن القومي.

فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون الردع وحده كافياً، إذ تنبغي مقارعة الإيديولوجية "الجهادية" التي يحملون بالدرجة الأولى. ومن هنا فلا الإدانة مجدية ولا حالة الطوارئ، إذ نحن أمام إجرام غير عادي يحترفه مجرمون زُيّن لهم الموت وباتوا يفضلونه على الحياة بل يرونه بمثابة ميلاد جديد ووسيلة من أجل بلوغ الأبدية. ومن هنا فمن العبث القول بأن لهؤلاء الأصوليين علاقة ما بالحداثة السياسية كما يدعي حاملو حقائبهم في الشرق وفي الغرب. بل بالعكس تقدم "الجهادية" نفسها كبديل حقيقي للحداثة عامة. وإنه لمن السخف أن يقارن بعض المحللين الفرنسيين عنف الجهاديين اليوم بالعنف الذي مارسته بعض التنظيمات الإرهابية في أوروبا في زمن مضى كالفوضويين والفاشيين والشيوعيين الثوريين وحتى الانفصاليين الباسك والكورسيكيين... فاعتبار الإرهاب الجهادي مجرد شكل من أشكال العنف السياسي المتطرف هو أولاً جهل لعمقه وثانياً تبرير لبربريته. ألم ينتبه هؤلاء المحللون إلى الأسباب الموضوعية البائنة التي تفرق بين الإرهابيين أم هي محاولة لتخفيف الصدمة وإخفاء عسرهم المزمن في فهم ظاهرة التطرف الديني الإسلاموي منذ نشوئها منذ ما يقارب الثلاثين عاماً؟ لم يكن الفوضويون الذين اختاروا طريق الإرهاب يمارسون العمليات الانتحارية لأنهم كانوا يعتبرون الموت كأمل مرتجى بل كان مشروعهم أرضياً خالصاً. ولم يقدموا أنفسهم مرة على أنهم من أتباع ايديولوجية ثيولوجية/سياسية تزعم إعادة اللحمة بين الأرض والسماء التي كانت سائدة ما قبل الحداثة، كما يفعل الجهاديون اليوم. وإن كان للجهاديين أجداد فلا يجب البحث عنهم خارج إطارهم الموضوعي ألا وهو الفكر الديني. ألم تكن البابوية تنظر إلى الشهيد المسيحي كمثل للورع في مواجهة الوثنية؟ ألم يكن القديس أوغسطين يؤكد في كل خطابه الثيولوجي أن الحياة لا ينبغي أن تكون سوى تحضيراً لتحرير الجسد، مرتع كل الخطايا، وأن الموت الجسدي ولادة جديدة وخير كبير إذا ما عرف المسيحي كيف يسلك السلوك اللائق الذي يؤهله ليأمل بلوغ الجنة؟

* كاتب جزائري

أحيل 6 صحافيين، بينهم 3 رؤساء تحرير، للمحاكمة، بسبب نشر ملفات فساد متورط فيها أحمد الزند، وزير العدل.

والآن، ونحن على أعتاب الذكرى الخامسة للثورة، ما بين دعوات شبابية لإحياء الثورة المجهضة، واستعادة ذكريات الاحتشاد المليوني في الميادين، من جهة، والاحتفال الرسمي بعيد الشرطة، من جهة أخرى، يدخل المصريون شتاءً يبدو مثيراً، يميزه هلع السلطة، البادي في خطاب السيسي أثناء الاحتفال بذكرى المولد النبوي، أواخر ديسمبر الماضي، عندما قال، إنه «على استعداد للتخلي عن السلطة حال نزول الشعب للتظاهر ضده»، فيما تستعد قوى الأمن للإجهاز على أي حراك بتهمة إخوانيته، ويبقى مصير الثورة مجهولاً لغياب رؤية واضحة تحدد الخطوات المقبلة، في ظل حكم عسكري يتغول كل يوم عن سابقه، وغياب البديل المدني الجاهز، وجماعة دينية خانت الثورة وساهمت برعونة بالغة في المآلات الراهنة، شديدة القتامة.

* روائي وصحافي مصري